استجابة الجمهور البليغة
في تلقي فكر عبد الله كنون في الفضاء الافتراضي

الباحث رشيد اعرضي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش
المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

فرض تطور وسائل الإعلام الجديد، البحث عن أدوات جديدة، تمكن من تحليل الخطابات الجماهيرية المستجدة التي لم تكن معروفة من قبل. وأصبحت البرامج والندوات والأفلام والمسرحيات والخطب والمباريات الرياضية والأمسيات الشعرية والدروس والمحاضرات توضع على قناة اليوتيوب يشاهدها جماهير الناس في بقاع الدنيا. وتزامن مع كل ذلك نشوء طبقة جديدة من الجماهير تتلقى هذه الخطابات وتحدد موقفها منها من خلال تعليقات لغوية وغير لغوية. وهذه الخطابات نجدها كالسيل تجرف صفحات متعددة قد تصل إلى آلاف التعليقات، ولها تأثيرها على القناة وعلى صاحب القناة وعلى المحتوى المقدم في القناة، فنرى التعليقات والمحتويات تجوب العالم في أقل من دقيقة، يشاهدها الملايين من الناس، وقد تستغلها بعض نشرات الأخبار والبرامج العالمية لمعرفة رأي الجمهور في مسألة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ما.

سنتناول في هذه المداخلة استجابات الجمهور البليغة في تلقي أدب عبد الله كنون المتوفى سنة 1989م، في الفضاء الافتراضي، في المغرب وفي الوطن العربي، وذلك في وسائل الإعلام (يوتيوب، موقع الوراق.)، وسنعمل على الكشف عن أشكال هذه الاستجابات البليغة للنصوص المسموعة والمرئية والمقروءة التي تتعلق بفكر العلامة عبد الله كنون، وسنقوم بتصنيفها حسب موضوعها، وكذلك سنقف عند المؤثرات الخارجية المرافقة لهذه الخطابات، وأهميتها في إيصال المعنى إلى الجمهور.

الكلمات المفاتيح: بلاغة الجمهور، بلاغة المخاطب، الإعلام الجديد، عبد الله كنون، النبوغ المغربي.

1- بلاغة الجمهور:

نشر عماد عبد اللطيف سنة 2005م بحثا بعنوان «بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته»[1] قدم فيه مقترحا لتأسيس توجه بلاغي جديد أطلق عليه حينها "بلاغة المخاطب" «تُعلي من شأن المخاطب، وتمده بآليات تجعله يقاوم بلاغة السلطة السياسية والإعلامية، والتعليمية، وغيرها، بحيث ينتج المخاطب استجابات مقاومة لأثرها البلاغي، مدركا لتحيزاتها ومفارقاتها للواقع»[2]، تطور فيما بعد ليُعرف باسم "بلاغة الجمهور" التي حددت موضوع اشتغالها في «الخطابات البلاغية الجماهيرية، وموضوعها دراسة الكيفية التي تستخدم بها هذه الخطابات اللغة؛ لتحقيق الإقناع والتأثير، وأثر ذلك في تشكيل استجابة المخاطب»[3]. تشكل بلاغة الجمهور في الوقت الراهن حقلا معرفيا قائما بذاته، له موضوعه الخاص به ومصطلحاته التي تميزه عن الحقول البلاغية الأخرى، كما هو ظاهر في الأعمال الفردية والجماعية التي اهتمت بهذه البلاغة.

يدخل في اهتمام بلاغة الجمهور جميع الظواهر اللغوية وغير اللغوية المرتبطة بالإقناع والتأثير في الاستجابات التي ينتجها الجمهور في فضاءات عمومية وافتراضية، فبلاغة الجمهور توجد حيثما يوجد خطاب يتداول في فضاء عمومي أو افتراضي وتُنتج فيه استجابات، كما هو موضوع هذه المداخلة، التي ترصد دراسة العلاقة بين الاستجابات البليغة لجمهور متلقي فكر عبد الله كنون والخطاب الأصلي الذي ولد هذه الاستجابات البليغة.

عرّف عماد عبد اللطيف الاستجابة البليغة بأنها الاستجابة المقاوِمة للخطاب السلطوي؛ ذلك لأن بلاغة الجمهور تفترض أن الخطابات البلاغية الجماهيرية هي خطابات توظف اللغة لتحقيق أغراض بلاغية هي إقناع المخاطَب/الجمهور والتأثير فيه. تحتمل هذه البلاغة أن يستهدف الإقناع تمكين مُنْشِئ الخطاب من السيطرة على المخاطب، ويتحقق ذلك باستخدام اللغة بكيفيات تتضمن التضليل والخداع. تسعى بلاغة الجمهور إلى تمكين المخاطب من القدرة على التمييز بين الخطاب السلطوي وغير السلطوي، وتمكنه أيضا من القدرة على إنتاج استجابات بلاغية تقاوِم الخطاب السلطوي وتدعم الخطاب غير السلطوي، وهذه الاستجابات يصطلح عليها في بلاغة الجمهور بـ"الاستجابات البليغ.

2- استجابة الجمهور البليغة في تلقي فكر عبد الله كنون في الفضاء الافتراضي:

يتناول موضوع هذه المداخلة بالدراسة والتحليل 155 شريطا على قناة اليوتيوب إضافة إلى بعض التعليقات المهمة التي وردت في موقع الوراق عن شخص عبد الله كنون وكتابه "النبوغ"، سنرصد من خلال هذه الأشرطة استجابات الجمهور البليغة التي بلغ عددها: 1434 استجابة. حضر عبد الله كنون في الفضاء الافتراضي محاضرا في بعض الدروس الحسنية، وحضر في بعض التصريحات الإذاعية والتلفزية، وحضر من خلال الآخرين متحدثين عن حياته الشخصية وسيرته العلمية وعن كتبه وفكره الإصلاحي التحرري. اخترنا لهذه الدراسة الفيديوهات التي تعرف بشخصه وبمكانته العلمية، وكذلك بكتابه "النبوغ". سجلت بعض الفيديوهات نسبة مشاهدة عالية تماثلها نسبة الاستجابات البليغة المتمثلة في التعليقات اللغوية، وسجلت فيديوهات أخرى استجابات قليلة وأخرى ثالثة كانت منعدمة الاستجابات؛ مما يفيد أن الجمهور يهتم ببعض المحتويات ولا يهتم بمحتويات أخرى. كما أن بعض المحتويات لقيت استجابات عالية لأن صاحب القناة له أتباع ومريدون، فكانت التعليقات منصبة على صاحب القناة ولم تلتفت إلى المحتوى إلا نادرا. وهذا الجدول يوضح عدد الفيديوهات وعدد الاستجابات البليغة التي أنتجها متابعو فكر عبد الله كنون:

الموضوع	عدد الفيديوهات	عدد الاستجابات	عدد الفيديوهات بدون استجابة
حياة عبد الله كنون وشخصيته / يوتيوب	48	310	24
مؤلفات عبد الله كنون وفكره/ يوتيوب	62	1070	21
حياة عبد الله كنون وفكره/ موقع الوراق	عدد الصفحات: 6	54	00
المجموع	116	1434	45

بعد تتبع هذه الاستجابات قسمناها إلى الأشكال التالية:

3- الهجوم على شخص عبد الله كنون:

يعد عبد الله كنون أحد رواد النهضة العلمية بالمغرب. أولى اهتماما كبيرا لقضايا الفكر الإسلامي، وقضايا الأدب المغربي قديمه وحديثه. ناضل من أجل تحرير المغرب واستقلاله وبناء الدولة الحديثة. أجمل ما قيل فيه ما وصفه به تقي الدين الهلالي: «فقد جمع بين خصال الشيوخ من سعة العلم والأدب وكمال العقل والمروءة وبعد النظر وسداد الرأي والرزانة والحلم والوقار... فهو من الأدباء الذين يذهبون إلى التجديد المطلق... وله تآليف غزيرة العلم جيدة التأليف حسنة السبك»[4]. ونظرا لمكانته العلمية فقد عين رئيسا للمجلس العلمي بطنجة، كما كان عضوا في أكاديمية المملكة المغربية، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي بالعاصمة الأردنية عمان، وعضوا

في الأمانة العامة لرابطة علماء المغرب. وصفه الدكتور زكي المحاسني بقوله: «أديب المغرب وعلامة العرب والإسلام في القرن العشرين»[5]، وقال فيه العلامة محمد المختار السوسي:

ما قام بالأدب العالي وبالدين *** إلا يراعة عبد الله كنون[6]

يشهد على مكانته العلمية كتاباته المختلفة وخاصة كتابه "النبوغ المغربي في الأدب العربي"، وقال فيه التهامي الراجي الهاشمي: «المتأمل في نتاج عبد الله كنون يلاحظ زيادة على هذا وذاك، أنه التزم خطة منذ بدأ يكتب، ما حاد عنها رغم كثرة ما كتب ... خطة لا يدوم عليها إلا من أوتي عزم المصلحين، وقوة المؤمنين ويقين المهتدين»[7].

تبين هذه المسؤوليات التي تسنمها، وهذه الشهادات أنه كان مشهورا، وأن هذه الشهرة لابد أن تخلف أثرا عند مستعملي الفضاء الافتراضي، لكن عند تتبع حضور هذا العالم في وسائل التواصل الجماهيري نجده يحضر بوصفه نمطا؛ أي: مجموعة من التمثلات الثقافية التي تبناها المجتمع حول شخصه وفكره. بينت روث أموسي Ruth Amossy (2001، 2002) في دراستها لمفهومي النمط والتنميط بوصفهما جملة من التمثلات الثقافية التي يتبناها المجتمع حول شخصية معينة[8]، أن الإعلام الإعلام والفنون الجماهيرية يلعبان الدور الأكبر في إنشاء هذه التمثلات والعمل على ترسيخها؛ وبناء على ذلك تتشكل صورة ذهنية نمطية لعبد الله كنون، وتوضح الاستجابات أن الجمهور قد كون صورةً ذهنية نمطية عنه وعن كتاباته وفكره وعرقه. هذه الصورة النمطية وصمته بالمتعصب عند الأمازيغ والمجهول عند المغاربة العرب، والجاهل عند المشارقة. فأنشئت استجابات بليغة تنتقد هذه الخطابات السلطوية السلبية المتمثلة في الهجمات الموجهة لشخصه وأدبه؛ وهي عبارة عن مغالطات درسها أصحاب الحجاج والتفكير النقدي[9]، وتسمى مغالطة القدح الشخصي[10]، منتهكين بذلك قواعد العقلانية التي تضمن حوارا خلاقا مع أنصار كنون الذين يسعون لتفنيد هذه الادعاءات والاتهامات والأوصاف السلبية لإعادة الاعتبار إليه. وننبه في هذا السياق أن الهجمات على شخص عبد الله كنون وفكره لا تعد إساءات إليه؛ لأنه ليس طرفا في النقاش.

وسنوضح من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية بنية الحوار الدائر بين أنصار عبد الله كنون المدافعين عن شخصه وفكره، وأعدائه المهاجمين لشخصه وفكره:

- هل هوية عبد الله كنون المغربية سبب في نعته بالجاهل، ونعت كتاب"النبوغ" بـ"الخمول"؟
- هل اهتمامه بنوابغ الأدباء العرب المغاربة، وإهمال الأدباء الأمازيغ يجعله متعصبا للعرب ضد الأمازيغ؟
- هل عدم اهتمام برامج التعليم في المغرب برجالات المغرب سبب كاف لجهل المغاربة بأمثال عبد الله كنون، أم أن القارئ المغربي يجب أن يبحث عن الكتابات التي تشكل هويته ويكون على علم بها، خاصة وأن كنون شخصية عامة شارك في الدروس الحسنية، واستضيف في برامج تلفزية، ونظمت ندوات متعددة لتكريمه، وكتبه متوفرة بجميع الصيغ على الأنترنيت: مسموعة ومصورة وعليها دراسات متعددة.

أتاحت وسائل التواصل الحديثة للجمهور بمختلف فئاته الثقافية، أن يشارك في التعليق على الخطابات وأخذ موقف منها إيجابا أو سلبا، أتاحت له هذه الوسائل المشاركة في إنتاج الخطاب والتأثير على المتلقين. وإذا كانت بلاغة الجمهور تعنى بدراسة استجابات الجمهور من منظور قدرتها على مقاومة الخطابات السلطوية[11] والاستغلالية القامعة لحرية الجمهور، كما نجد في الاستجابات البليغة التي أنشأها المدافعون عن شخص عبد الله كنون وأدبه.

4- الهجوم على شخص عبد الله كنون من طرف المغاربة:

4-1- الهجوم على شخص عبد الله كنون من طرف المغاربة العرب:

عند تتبع استجابات الجمهور المتتبع لفكر عبد الله كنون نجد أنفسنا أمام جمهور له تمثلات خاصة عن الرجل وفكره، ونجده ينتج استجابات تصدر أحكاما وتمثل مواقف سلبية منه؛ كما نجد في هذه الاستجابة: «مسكين قنون عامل نفسه العقاد ولا أحد يعرف قنون ولا خبز صمون» هذه الاستجابة تجعل عبد الله كنون الأديب عند هذا المغربي نكرة، أقل شهرة وأضعف أدبا من الناقد المصري عباس محمود العقاد، وهو ما أثار حفيظة بعض المشاركين في الحوار فتعجب من جهل هذا المغربي بعلماء وطنه المغرب، فأنتج استجابة تتعجب وتنكر هذا السلوك في الآن نفسه «ما شاء الله عليك، تعرف العقاد وامثاله وتجهل علماء بلدك !! هل تشعر بالنقص تجاه الاخرين؟» وهذا الإنكار والجهل بعبد الله كنون من طرف بعض المغاربة نجده واضحا عند مغربي آخر أنتج استجابة يقر فيها بذلك «ومن هو قنون أنا مغربي لا أعرفه.هههههه» وهذه الاستجابة خلقت توترا حادا لدى متابعي فكر عبد الله كنون على اليوتيوب، فرد عليه عدد منهم واتهموه بالجهل والسفه والدعوة إلى عدم الاكتراث لجهله «سفيه يثبت مدى جهله ...» نلاحظ أن هؤلاء المعادين المتهجمين على شخص عبد الله كنون يكتبون اسمه بالقاق بدل الكاف، فطابق الجهل بشخصه الجهل بكيفية كتابة اسمه. لكن العجب والمثير للانتباه أن بعض المشاركين في الحوار من السودان يرد على هذا المغربي باستجابة بليغة فيها نبل وعلم وإقرار بالحقيقة بعيدا عن الأهواء والمزايدات «أنا أعجب من استعراضك لجهلك بلا مبرر! هل سألك أحد إذا كنت تعرفه أم لا؟ أنا لست مغربيا بل سودانيا ولكني أعرف الاستاذ عبدالله من خلال مؤلفه الماتع النبوغ المغربي ومن خلال بعض مساهماته في مجمع اللغة العربية ونتف من كتابه أدب الفقهاء، وأسرته أسرة معروفة في العلم "أبوه وعمه وجدوده"، كان الأولى بك السكوت على جهلك ولكن أبيت إلا فضح نفسك» فقال أحد المتابعين من الجمهور معلقا عليه «أحسن الله إليك أستاذ. فإن كثير من المغاربة لا يعرف من هو الشيخ عبدالله كنون» .

هذه الاستجابات توضح أن كثيرا «من المغاربة لا يعرف من هو الشيخ عبدالله كنون» كما جاء في إحدى الاستجابات، وحملت استجابات متعددة مسؤولية التعريف بعلماء المغرب إلى الدولة، عليها إدراجهم في البرامج التعليمية، وكذلك موكول إلى الإعلام الذي أصبح يهتم بالفضائح والموضة والتفاهة. صرح أحد المتتبعين لفكر عبد الله كنون على اليوتيوب بأنه «لم نقراه في المغرب» جعلت هذه الاستجابة جمهور المتابعين ينتجون استجابات بليغة تنكر ذلك وتتساءل عن السبب الذي من أجله أهملت الدولة تعريف المغاربة بعلماء الوطن «... انحسر على النظام التعليمي في المغرب لم يدرسنا سيرة علمائنا»، «لماذا الدولة لا تعرف أبناءنا بمثل هؤلاء النوابغ في برامجها و مقرراتها التعليمية.. »، «إعلامنا الفاسد هو الذي يذع هؤلاء ويشيع الفاحشة من أمثال طوطو وغيرهم». هذا الدور بدأ يقوم به فئة من الناس المثقفين في الوطن يعرفون الشباب بتاريخهم العريق وبالشخصيات العلمية منبهين إياهم أن بلدهم بلد علماء؛ وكثيرة هي الاستجابات البليغة التي انتبهت إلى هذا الأمر ونوهت به كما نجد في هذه الاستجابة التي قدمت الشكر لصاحب القناة «محتوى رائع الشكر كل الشكر لك أستاذ لأنك نفضت الغبار عن أعلامنا الكبار الذين همشوا من طرف الإعلام»، «أنا لا أعرف عن علمائنا شيئا رغم أن المغرب عنده علماء عباقرة منذ العهد القديم إلى يومنا هذا شكرا لك عن هذه المعلومة إن شاء الله سأقرأ هذا الكتاب».

4-2- الهجوم على شخص عبد الله كنون من طرف المشارقة:

نفى أحد المشارقة وجود عالم اسمه عبد الله كنون؛ قال: «يا أخي لا يوجد عالم بهذا الاسم؟؟؟؟ عجب نحن في زمن الرويبضة» وقال آخر متهما المغاربة جميعهم بالجهل: «أنتم المغاربة لا تفقهون شيء لا بالبلاغة ولا بالفصاحة ... لا تدعي العلم وأنت بعيد كل البعد عنه... اترك هاي الأمور لأهلها أهل بلاد الشام والمشرق اقرأ وتعلم». من الاستجابات البليغة التي أنشئت للرد على هذه الادعاءات والمغالطات، استجابات كتبها بعض المغاربة؛ منهم من أكد أن هجوم المشارقة على المغاربة أمر قديم وشهد به علماء معاصرون كثر؛ قال: «لطالما ظلم علماء المغرب من طرف المشرق إعلاميا وهذا شهد به علماء أجلاء ...»، ومنهم من التفت أولا إلى لغة هؤلاء المشارقة منبها إلى مظاهر الركاكة التي تشوبها، محاولا أن يفند أن العربية بالعرق ليؤكد أن العربية بالتعلم وبالانتماء إلى الإسلام، وملتفتا ثانيا إلى فهمهم البليد جراء العصبية؛ قال: «سبحان الله العظيم!!، والله حِرت ما الذي أفعل معك، هل أُصَحح أخطاءكَ اللغويةَ البديهيةَ التي لا تُعَد ولا تُحْصَى، أم أُصَحح فهمكَ البليد المعْوَجّ، ... أنت فَغارِق في عَصَبِيَّتِك، دَعْها يا عزيزي فإنها مُنْتِنة،» وقال مغربي آخر مؤكدا دور المغاربة الكبير في العلم

والمعرفة، معلقا على شريط للفقيه سعيد الكملي أثناء حديثه عن عبد الله كنون وكتابه "النبوغ" «بارك الله في شيخنا سعيد الكملي انه امتعنا في مجالسه كما امتع اهل المشرق بتحفه.... وبين للمشارقة أن المغاربة يبهرون في الشعر والبلاغة لأن أغلب المشارقة لهم رؤية سلبية على المغرب العربي ...».

5- الهجوم على أدب عبد الله كنون

نطرح في البداية سؤالا: هل كتاب "النبوغ المغربي في الأدب العربي" مجهول لدى المشارقة؟ إن الإجابة تثبت أن المشارقة كانوا يسعون إلى تجهيل المغاربة وهي مغالطة ترمي إلى احتقار الآخر؛ لأن المعطيات العلمية تثبت حقائق واضحة على خلاف ما يدعون؛ فقد نشر أحمد الشايب سنة 1991م كتابا بعنوان: «الدراسات الأدبية في المغرب الأستاذ عبد الله كنون نموذجا» ونحن نعلم أن مؤلفات أحمد الشايب يتهافت عليها القراء عند صدورها، هذا من جهة ومن جهة أخرى علماء الأدب الذين خصوا هذا الكتاب بشهادات نفيسة، نذكر منها شهادة عميد الأدب العربي طه حسين في كلمته التي كتبها عن "النبوغ المغربي"، ونشرها في جريدة "أخبار اليوم" المصرية بتاريخ 8-5-65: «هذا كتاب ممتع كل الإمتاع نافع كل النفع للذين يعنون بالأدب العربي وتاريخه، فهو يفصل لنا كل التفصيل التاريخ السياسي والأدبي والعلمي للمغرب الأقصى»، وشهادة حنا الفاخوري الذي صرح قائلا: «ومما لا شك فيه أن كتاب "النبوغ المغربي" كنز ثمين من كنوز العلم، ومصدر من أوثق مصادره، وموسوعة مغربية لا يقدرها حق قدرها إلا من لمس النقص في كتب الأدب وعرف هذا الجهل أو التجاهل الذي صدف بالكتاب عن آثار هذا العالم الغني بعبقرياته، العريق في رقيه وحضاراته، الجليل الأثر في توجيه الفكر العربي منذ أقدم عصوره»[12]، ناهيك عن شهادة عميد الأدب المغربي الذي صرح أن «كتاب النبوغ المغربي لا يمكن أن نتحدث عنه إلا لنقر بأنه فريد في بابه، وأنه سبق إلى طرق باب من أبواب التأليف لم تكن معهودة أو معروفة عند المغاربة ... ليس لأنهم لم يكتبوا الأدب، بل لأنه مشتت ومفرق في كتب كثيرة ومظان متنوعة ... وأن يأتي عالم متمكن وأن يضع يده على هذه المصادر ليخرج منها شيئا يكون نواة كتاب النبوغ، فعمل جليل له قيمته وله أهميته...»[13]. حقق عبد الله كنون بمؤلفه هذا أمنية الحضور الثقافي والأدبي للمغرب في الساحة العربية؛ «ولولا النفس الطويل الذي يتميز به الأستاذ الباحث والمنقب لما أمكن التوصل إلى تلك الحصيلة التي ألفت كتاب "النبوغ المغربي" وما كان غير الأستاذ عبد الله أن يقدر على الاضطلاع بمثل تلك المهمة الشاقة»[14].

وما يمنح هذا الكتاب شهرة واسعة أن السلطات الفرنسية أصدرت قرارا عسكريا بمنع الكتاب «من الدخول إلى المنطقة الفرنسية بالمغرب الأقصى، وكذلك بيعه وعرضه وتوزيعه، ومن خالف ذلك يعاقب بمقتضى القوانين المقررة»[15]، إضافة إلى استقباله باستحسان وترحاب من طرف السلطات الاسبانية، التي منحت عبد الله كنون «دكتوراه شرف» من جامعة مدريد في السنة الموالية لصدور الكتاب[16]. وهناك حجة أخرى تشهد لشهرة الرجل وكتابه النبوغ، تتمثل في إلقائه محاضرات في الأدب المغربي الحديث على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية لجامعة الدول العربية بالقاهرة؛ بطلب من مديره شفيق غربال[17]. جمعت في كتاب تحت عنوان: "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث" أرخ فيه للأدب المغربي الحديث[18].

5-1- الهجوم على كتاب "النبوغ":

5-1-1- الهجوم على كتاب "النبوغ" من طرف المغاربة الأمازيغ:

تظهر الاستجابات البليغة على اليوتيوب، أن المتلقي المغربي لا علاقة له بتراثه، ولا يعلم شيئا عن علماء وطنه، وتظهر كذلك أن المتلقي الأمازيغي له تصور آخر عن العلماء العرب الذين يهتمون بالأدباء العرب ولا يهتمون بالأدباء الأمازيغ؛ وهو ما جسدته هذه الاستجابة «لمادا الناقد يتحدث فقط عن العرب؟ ههه». إننا نجد الأمازيغ حاضرين بفكرهم وثقافتهم ضمن المتلقين لهذا الفكر، لكنهم ينتجون استجابات بليغة يضمنونها تهميشهم في التاريخ الأدبي العربي، ويعتبرون كتاب "النبوغ" نهج المسلك نفسه، ويعتبرون عبد الله كنون متعصبا للعرب حاقدا على الأمازيغ؛ من هذه الاستجابات البليغة يجد القارئ «داك الكتاب كتب فقط للحقد على الامازيغ و محو لهويتهم و تمجيد للعروبة وكانها منبع الحضارة الابدية»، «كتاب "النبوغ" عنصري .خاصة ضد الشعب الامازيغ» ، «يعيشون في أرض أمازيغه وفي شمال

إفريقيا و لكن تم تدجينهم من طرف المشارقة و ولائهم للمشرق وانتمائهم للمشرق... العز للاتراك والفرس والماليزيين والاندونسيين الدين يعتزون بما أعطاهم الخالق أما قطيع شمال إفريقيا فمدلول و عبيد الشرق» «.... أخي مالكم بخلاء!!... تبخلون أم تتجاهلون ؟؟؟ ذكر العائلات العالمات الوارثين للدين والأدب في. كل المغرب الا : بقاع سوس العالمة؟؟!! ....لماذا هاذا الاقصاء منكم.....خوفا ان يقيم الناس قيمة للعلماء السوسيين ؟؟؟..... ». لكن الفئة الأخرى المدافعة عن الرجل تتساءل عن السبب الذي يجعل عبد الله كنون يعمل على طمس الهوية الأمازيغية بكتابه "النبوغ" في استجابات بليغة منها: «ولمادا يتم طمس الهوية الأمازيغية في هدا الكتاب؟»، فتهجموا على الأمازيغ وحكموا عليهم أحكاما تشهيرية، كما جسدت ذلك هذه الاستجابات «في قلبك مرض فحاول ان تجد له دواء حتى يتسع صدرك لغيرك»، «في قلبك غل و حقد روح اغسل قلبك»، لكن استجابة أثارت انتباهي تفند الحكم على الكاتب والكتاب بالعنصرية، مضمونها إذا كانت الكتابة بالعربية هي سبب العنصرية، فلماذا «لماذا [أيها الأمازيغي]كتبت بالعربية إذن ؟».

5-1-2- الهجوم على كتاب "النبوغ" من طرف المشارقة:

نشر أحد المشارقة بالمملكة السعودية مسميا نفسه "غريب" تعليقا بموقع الوراق بتاريخ 16 ابريل 2007، يقول فيه: «سمعت هذه الأيام بوجود كتاب يسمى بالنبوغ المغربي قيل إنه لعالم مغربي يسمى عبد الله جنون، فاستغربت من هذا العنوان لكونه يحمل تناقضا صريحا بين (النبوغ والمغربي) فهل يمكن أن نعد المغربي الذي تعلم العربية بعد إنقاذنا له نابغا في مجال الأدب خصوصا وأن اللغة العربية ليست هي لغة السليقة بالنسبة إليه؟ غريب أمر هؤلاء المغاربة... المهم أرجو أن تخبروني بملابسات هذا النبوغ، وكل حيثياته... مع فائق الاحترام والتقدير للإخوة المغاربة»

نلاحظ أن هذا الشخص الذي كتب هذا التعليق بدأه بقوله: "سمعت هذه الأيام" ويقصد شهر أبريل سنة 2007م، بمعنى أنه لم يكن يعلم شيئا عن كنون وكتابه "النبوغ" قبل سنة 2007، أي بعد وفاة الرجل بثمان عشرة سنة، وهذه من مغالطات المصادرة على المطلوب، التي مكنت المغالط من إصدار أحكام ذاتية دون قراءة الكتاب، وهو ما انتبه إليه أحد المتابعين في قوله: «وحسب إقرارك فإنك لم تر الكتاب ولم تقرأه وإنما سمعت عنه. فكيف لك إذا بالحكم عليه حكما منطقيا نزيها؟» ، وعلق عليه آخر في استجابة بليغة تقوض ادعاءه وتفنده؛ قال: «لم العجب والاستغراب من النبوغ العلمي والأدبي في المغرب العربي وهم الذين يعتبرون وبكل حق وصدق الورثة الشرعيون لموروث حضارة استمرت قرونا في بلاد الأندلس هذا المغرب الذي أفرز العلماء والفلاسفة وعلماء اللغة والشعراء والأدباء..... الخ. .... يقف المرء إجلالا واحتراما وتقديرا لهؤلاء الأفذاذ العمالقة العظام... فيا أيها السيد إن كنت تعلم بالنهضة العلمية في المغرب العربي وأردت تجاهلها فهذا والله مصيبة وإن كنت لا تعلم فالمصيبة أعظم » .!!!!!.

نعت بعض المشارقة كتاب "النبوغ المغربي" بـ"الخمول المغربي"، وهذا الوصف أنجزت حوله استجابة بليغة بين من خلالها صاحبها فساد هذا الوصف في قوله: «من العجائب أن يكون كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي للعلامة كنون دليلا على الخمول الذي تعيشه الحياة العلمية في المغرب، فكتاب ألف لبيان مكانة الأدب المغربي في الأدب العربي، ويعد مفخرة للمغرب في العصر الحديث».

خاتمة:

مكنتنا بلاغة الجمهور من خلال تتبع الاستجابات البليغة التي أدلى بها متابعو فكر وأدب عبد الله كنون، من معرفة التمثلات الذهنية المختلفة التي تكرست في أذهان الجمهور المغربي بنوعيه العربي والأمازيغي، وكذلك الجمهور المشرقي. إن هذه الاستجابات تمكننا من معرفة قدراتنا المعرفية والعلمية، وتمكننا كذلك من معرفة موقف الآخر من ثقافتنا. إن التمثلات السلبية للمشارقة عن العلماء المغاربة، وكذلك التمثلات السلبية للأمازيغ عن العلماء العرب تمكن الباحث وهو يتابع هذه الاستجابات البليغة أن يلاحظ الكيفية التي يبني بها الجمهور نمط العالم في العالم العربي عامة وفي المغرب خاصة، ويلاحظ الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري في ترسيخ أفكار سلبية عن المثقف العالم المسلم في المجتمع العربي، نجد صورة لذلك في الاستجابات المهاجمة لشخص عبد الله كنون والمناهضة لفكره، وهو ما تحاول الاستجابات البليغة الداعمة له أن تفنده وتنتقده.

إن الهجمات الموجهة لشخص عبد الله كنون وفكره؛ اعتبرناها مغالطات تسعى إلى التشهير بعبد الله كنون ، وفيها عمل بعض أطراف النقاش على تقديم تقييم سلبي لشخص كنون وفكره إما بتجهيله أو نعته بالعصبية أو جعله نكرة، وفي هذا التقييم السلبي انتهاك لقواعد العقلانية التي تضمن حوارا خلاقا مع المغاربة أنصار كنون والمشارقة المناوئين له غير المعترفين بعلمه وبفكره، أو مع العرب الذين ينتمي إليهم عرقيا والأمازيغ المتهمين له بالعصبية، وهذه الادعاءات والاتهامات والأوصاف السلبية تمنع جمهور المحاورين من الوصول إلى حل للخلاف في وجهة النظر المطروحة للنقاش على أسس موضوعية. يجب على المغاربة أن يشتغلوا على تراثهم نظريا وتطبيقيا، ويتموا ما بدأه عبد الله كنون والقباج وابنا تاويت وغيرهم، ويعرفوا أبناء وطنهم على آدابهم، ويبينوا للآخر أن المغاربة، لهم تراث يماثل تراث الآخرين إن لم يفقه عقلانية وجمالية وإبداعا.

الهوامش:

[1] – نشر ضمن كتاب: السلطة ودور المثقف، ص 7– 36، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005.

[2] – صديقي (عبد الوهاب)، بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا، ضمن كتاب: بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، ص: 124.

[3] – صادق (مصطفى عباس)، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، ص: 18– 33.

[4] – كنون (عبد الله)، ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 131.

[5] – المحاسني (زكي)، «عبد الله كنون شاعرا بديوانه "لوحات شعرية"» مجلة دعوة الحق، المغرب، عدد5، سنة 11، مارس/ أبريل 1968، ص 65.

[6] – كنون (عبد الله)، ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 134.

[7] – الهاشمي (الراجي التهامي) «الأستاذ عبد الله كنون في كتابه الأخير على درب الإسلام» مجلة دعوة الحق، المغرب، عدد 10/9 (مزدوج) ماي 197، ص 191.

[8] – Amossy, R. (2001) Ethos at the crossroads of disciplines: Rhetoric, pragmatics, sociology. *Poetics Today*. 22 (1): 1-23

Amossy, R. (2002) How to do things with *doxa*: Toward an analysis of argumentation in discourse. *Poetics Today*. 23 (3): 465-87

[9] – ينظر في ذلك: أبا سيدي (عليوي)، الحجاج والتفكير النقدي مقاربة تداولية منطقية معرفية.

[10] – فرانز فان إيمرن، روب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج المقاربة الذريعية – الجدلية، ترجمة: عبد المجيد جحفة، ص 206 وما بعدها.

[11] – ينظر في ذلك: عماد (عبد اللطيف) «البلاغة ومقاومة الخطاب من الوعي إلى الفعل» مجلة ثقافات، كلية الآداب جامعة البحرين، البحرين، العدد: 22، 2009، ص: 65– 82.

[12] – كنون (عبد الله)، النبوغ المغربي، ص 634.

[13] – الجراري (عباس) «النبوغ المغربي وتاريخية الأدب العربي بالمغرب»«الملحق الثقافي لجريدة العلم» عدد 799، ص 31.

[14] – زياد (أحمد) «لمحات من تاريخ الحركة الفكرية بالمغرب ... وقصص أخرى» دار الكتاب، الدار البيضاء، ص 134.

[15] – كنون (عبد الله)، النبوغ المغربي، ص 10.

[16] – كنون (عبد الله)، النبوغ المغربي، ص 10.

[17] – كنون (عبد الله)، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، المقدمة، ص 13.

[18] – الشايب (أحمد)، الدراسات الأدبية في المغرب الأستاذ عبد الله كنون نموذجا، ص 74.